خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٨ من شعبان ١٤٣٦ هـ / ٥ من حزيران ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩].

معاشر السادة: في صدر تاريخنا وعلى امتداده مع الزمن كان العالم العربي والإسلامي يُعرف بحبه للجهاد، وارتضائه لأشق التضحيات كي يُحق الحق ويُبطل الباطل، كان هذا العالم الرَّحب عارم القوى الأدبية والمادية، حتى يئس المعتدون من طول الاشتباك معه، فقد كبح جماحهم وقلم أظفارهم ورد قلوبهم مذعورة من حيث جاءت، وألحق بهم من المغارم والآلام ما يَظل بينهم عبرة متوارثة وتأديباً مرهوباً، ويرجع ذلك إلى عدة أمور منها: أن الحقائق الدينية عندما لا تَنفك أبداً عن أسباب صيانتها ودواعي حمايتها، فهي مُغلفة بغطاء صلب يَكسر أنياب الوحوش إذا حاولت قضمها، وذلك هو السر في بقاء عقائدنا سليمة برغم المحاولات المتكررة لاستباحتها، تلك المحاولات التي نجحت في اجتياح عقائد أخرى، أو الانحراف بها عن أصلها، ثم إن الإسلام جعل حراسة الحق أرفع العبادات أجراً، فلولا يَقظة أولئك الحراس وتَفانيهم ما بَقي للإيمان منار ولا سرى له شعاع، لقد كانت صيحة الدفاع عن الحق قَديماً تَجتذب الشباب والشيب وتستهوي الجماهير من كل لون، فإذا سَيل لا آخر له من أولي الابتداع والنجدة، يَصب في ميدان المشتعل، فما تَضع الحرب أوزارها إلا بعد أن تكوي أعداء الله وتلقنهم درساً لا يُنسى، لقد كان الموت في الميدان أمنية تستشرف لها الهمم العالية شوقاً لما عند الله من مثوبة وما سَيَفِدُون عليه من كرامة، حتى أن النبي ﷺ حلف يَرجو هذا المصير، فقد روى البخاري: ((والذي نفس مُحَمَّد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فَأُقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)) فأي إغراء بالاستماتة في الدفاع عن الحق ونصرة الدين

أعظم من هذا الإغراء، هل أصبحت هذه المثل العليا ذِكريات مَضت، أم أنها محفورة في عقلنا الباطن تحتاج إلى مَن يُزيل عنها الغبار ويُحرك كوامنها؟ إن أصحاب المبادئ سراع إلى تلبية مبادئهم، وعندما يُقرع باب الكريم ينهض وهو يقول:

فقمت ولم أجثم مكاني ولم تقم مع النفس عِلات البخيل الفَواضح

وعندما يُطلب الشجاع إلى ساحة الوغى يَذهل عن الحياة، وينطلق وهو يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] روى الترمذي عن جابر قال: (لقيني رسول الله مرة وأنا مُهتم، فقال: ما لي أراك منكسراً؟ فقلت: استشهد أبي يوم أحد وترك عيالاً وديناً، فقال: ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قلت: بلى، قال: ما كلم الله أحداً قط إلا مِن وراء حجاب، وإنه أحيا أباك فكلمه كفاحاً -أي مواجهة- فقال يا عبدي تمن علي أُعطك، قال: يا رب تُحييني فأُقتل ثانية، فقال سبحانه وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يَرجعون، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] والمرء يَحار أَيَعجب مِن كَرامة الشهيد على الله، أم مِن حلاوة الفناء في الله التي ذاقها أولئك الشهداء؟. إن أبا جابر لم يَستشعر وحشة للفراق أولاده، ولم تستشرف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده، بل تطلع للعودة إلى الدنيا كي يسير بخطاً ثابتة إلى ساحة القتل، وعلى طريق الكرامة والعزة والشرف سار المقاومة الشرفاء إلى ساحة الوغى، حَتى أن شَوقي عَجب من نزول عُمر المختار إلى ساحات القتال، لكونه كبير السن، فخاطب الشعب طالباً مِنه تجنيد الشباب وإعفاء الشيوخ، فقال:

فأرح شيوخك من تكاليف الوغى واحمل على شبابك الأعباء

على أن منطق اليقين -يا سادة- لا يكترث بفوارق السن، فإن العقيدة المتفجرة في القلوب الكبيرة تَجعل الكهول فِتياناً نَشطين، أما إذا تخلخل الإيمان فإن الشاب الجَلد يُمسي عند منفعة تافهة لا تساوي شيئاً.

إن الاستعمار الذي زحف على العالم العربي والإسلامي خلال كبوته الخيرة بذل جهوداً هائلة لإشغال المسلمين عن هذه المعاني، أو لقتل هذه الخصائص النفسية في حياتهم العامة، وذلك ليضمن فرض ظلماته ومظالمه دون أية مقاومة، وقد توسل إلى ذلك بتكسير الشهوات أمام العيون الجائعة، وتوجيه العقائد

والفضائل التي تعصم من الدنايا، وإبعاد الإسلام شكلاً وموضوعاً عن كل ميدان، وتضخيم كل نزعة محلية أو شخصية تمزق الأخوة الجامعة، وتوذي الرابط العام بين صفوف الأمة، وقد أصاب الاستعمار نجاحاً ملحوظاً في سبيل غايته تلك، ولذلك لم تنجح محاولات تجميع صفوف الأمة لدحر العدو الذي جثم على أرضهم واستباح مقدساتهم، وما قيمة هذا التجميع إذا كان الذين ندعوهم قد تحللوا من الإيمان وفرائضه والقرآن وأحكامه، إن تجميع الأصفار لا يُنتج عدداً له قيمة، فلا بدَّ إذاً من رد الأمة إلى المبادئ والتمسك بالأخلاق، عندئذٍ يدعون فيجيبون ويكافحون فينتصرون ويحتشدون في معارك الشرف فيبستم لهم النصر وتتفتح لهم جنات الرضوان.

إن الخوف من الموت في ساحات الوغى هي سَوءة خلقية وعقلية تشيع في زماننا، وتَنطق بأننا أجهل الناس في فقه الرجولة وفقه الإيمان معاً، فقد أضحينا نرى جيلاً مِن أشباه الرجال يُغمغمون بألفاظ الحسرة والأسى لأنه لا خر صريعاً ولم يمت على سريره، إن هناك قلوباً تَطرق إليها الوهن، أتدرون ما الوهن؟ حُبُّ الدنيا وكراهية الموت، هذا عرض من أعراض الداء الخبيث الذي أطمع الكثيرين في بلادنا وأغراهم بالعربدة والاغتيال، فإن كنا مسلمين حقاً فما هذا الوهن بإسلام، أو كنا رجالاً فما هو برجولة، فالرجولة أن تقول: نريد أن نموت أبطالاً في مقارعة الحديد والنار، لا أن نموت ناعمين في فراشنا وبين أهلينا.

والدعوة العظيمة –يا سادة– لا تضار بشيء مثلما تُضار بهذا الصنف من الجبناء المتلونين، الذين يحذرون أن يمسهم سوء، وقد صور القرآن موقف هذا الصنف المريب بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٢-٧٣].

معاشر السادة: لقد فَهم كثيرون أن تَرك الشر هو غاية التَّدين، وأن اعتزال الفتن هو آية الإيمان، وهذا عجز سببه ضعف الهمة وسقوط الإرادة، والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه عندما يأمرنا باعتزال الفتن لا يُنهي واجباً عند هذا الحد –احفظها أيها المسلم– والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه عندما يأمرنا باعتزال الفتن لا يُنهي واجباً عند هذا الحد، ماذا يَفعل الإنسان عندما يقرأ الحديث الذي رواه البخاري، عن الزبير بن عدي قال: شكونا إلى أنس بن مالك ما نلقى من الحجاج، فقال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، قال أنس: سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم. ظاهر الحديث أن أمر المسلمين في إدبار، وأن بناء الأمة كلها إلى انهيار على اختلاف الليل

والنهار، والواقع أن هذا الحديث وأشباهه يُشير إلى الأزمات التي سَوف يُواجهها الحق في مسيرته الطويلة، فإن الباطل لن تَلين قناته بسهولة، بل ربما وصل في جرأته على الإيمان أن يقتحم حدوده ويُهدد حقيقته ويُحاول الإجهاز عليه، فعندما نَفهم أحاديث الفتن على غَير وَجهها ومَقصودها فإن ذلك يُؤدي إلى التخاذل والاستكانة، وهذا أمر خطير، ولو سرت جرثومة هذا المرض إلى صلاح الدين الأيوبي ما فكر في استنقاذ بيت المقدس مِن الفرنجة، ولو سرت هذا المرض إلى سيف الدين قطز ما نهض إلى دخر التتار في عين جالوت، ولو سرت جرثومة هذا المرض إلى زعماء الفكر الإسلامي ما فكروا أن يَخطوا حرفاً أو يَكتبوا سطراً، ولا نماري في أن تصدعات خطيرة أصابت الكيان الإسلامي قديماً وحديثاً عندما فُهمت الأحاديث على غير وجهها ومقصودها.

معاشر السادة: كثيرون تخاذلوا مع الأسف، كثيرون تلونوا، كثيراً ماطلوا في الدفاع عن الوطن، ونحن اليوم لا نَعيش في زمن الفتن فحسب، بل نعيش في حروب أشعلتها دول عديدة، قادتها تحت ذَريعة الفتن، وتحت ذريعة الفتن تَوارى كثير من الناس عن قول كلمة الحق، وتمسكوا بأحاديث عديدة منها: ((الزم بيتك، وابك على خطيئتك، واستغفر لذنبك)) والعدو على الأبواب، هل يوجد دين أو عقل أو منطق يقول لك إذا كان عدوك على الأبواب أن تجلس في بيتك متخاذلاً ومتذرعاً بهذه الأحاديث تأولها على حسب ما يناسب نفسك الضعيفة وآراءك الغاوية، لا، الواجب اليوم على السوريين بشكل خاص وعلى كل شعب عربي يُحاربه آل سعود وأردوغان ويُموله القطريون تحت توجيه أمريكي فرنسي بريطاني، الواجب اليوم أن نقف جنباً إلى جنب في خندق واحد مع الجيش العربي السوري، ومع رجال المقاومة اللبنانية، ومنذ أيام بِفضل الله جل جلاله بدأت تحركات عَظيمة على أرض سورية، بدأت التحرير في إدلب، واستولى جيشنا على مواقع هامة، ورمضان الأيام القادمة سيكون شهر رمضان شهراً ساخناً، لكن فيه الانتصارات بإذن الله جل جلاله، الانتصارات في شهر رمضان، والأيام القادمة ستثبت -بإذن الله جل جلاله- ما نقول، نحن لا نتكلم من باب العواطف، لا، ديننا ليس دين عواطف، نحن نتكلم من باب الحقائق والوقائع، وسيشهد الداعشيون -هؤلاء المرتزقة- سيشهدون ضربات لن ينسوا أنينها سنين طويلة، وسيدرك أردوغان أن الجيش العربي السوري إذا زأر تفر من أمامه الهرر، سيزأر الجيش العربي السوري، وسيدحر الإرهاب من إدلب، ومن جسر الشغور، ومن تدمر تاريخ سورية وتاريخ الحضارة، وستُعاد أراضي سورية كاملة غير منقوصة، ونحن كشعب لا نرضى أن تكون منقوصة ولا شبراً واحداً.

فنحن كشعب واجبنا اليوم أن نقف إلى جانب الجيش العربي السوري، أن نستمد منه المعنويات، أن نستمد منه العطاءات، أن نقف إلى جانبه، لأنه يَحمي الأعراض، يحمي الأنفس مِن قطع الرؤوس وحرق الأجساد، لأنه عَلَّم الرجولة والإباء، فهو جيش بعد صبر سنوات طويلة وسنوات عديدة مِن تكالب دول عديدة وكثيرة يَصبر حتى اليوم، والله إنها معجزة من الله، وهذا أكبر دليل على أن الله يُؤيد الشام وأهلها، يؤيد هذا الوطن وأهله، وإلا فأي شعب وأي جيش يَحتمل هذه الحرب الشرسة، يَحتمل هذا العدوان، هذا التدفق المخيف من الأموال والمرتزقة والعتاد، ومع ذلك تجد الشعب السوري بقيادة قائده الفذ القائد الذي لا يركع إلا الله جل جلاله، وتجد الشعب بقيادة جيشه المغوار وحكومته الرشيدة يَقول لآل سعود وغيرهم من الأقزام: إنا هنا باقون، هذه أرضنا، وهذه تربتنا، عشنا عليها، أتدرون أيها السوريون عندما تَرمد عيوننا نُداويها بتراب هذا الوطن؟ عندما نُريد أن نكحل عيوننا ينبغي أن نُكحلها من الغبار الذي يقع على البوط العسكري، وهذا شرف ومكرمة لنا.

ونحن اليوم أمام حرب خطرة وشرسة، يَنبغي علينا أن ننبُذَ الجبن، وأن ننبذ الإشاعات مِن بيننا، وأن نَقف صفاً واحداً إلى جانب المقاومين الشرفاء، وعلى رأسهم هذا الجيش العملاق، الجيش العربي السوري، وتحية كل التحية إلى أهلنا في الحسكة الحبيبة، والله البارحة سمعت بعض التصريحات للمواطنين الشرفاء، وأهلنا في الحسكة كلهم شرفاء، سَمعت منه تصريحات قلت: والله هذه التصريحات وهذا الكلام وهذه المواقف هِي التي تَزيد مِن عزيمتنا وتزيد من إصرارنا وصمودنا، عندما سمعت بعض المواطنين يقولون: سنَقف جنباً إلى جنب مع الجيش العربي السوري مُدافعين عن الحسكة، وسنذود عنها هؤلاء الصعاليك الذين يَمكرون بنا وبوطننا، فنحن لا نخاف على الحسكة ولا على غيرها، وتحية إلى أهلنا في الجزيرة، وتحية إلى أهلنا في دير الزور، وتحية إلى أهلنا في الشعيطات، في هذه الشعائر العربية الأبية، تحية إلى كل سوري شريف يَضع مُخطط بني صهيون تحت قدمه، ويقول: أنا عربي أنا سوري.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـــ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن والاستقرار إلى ربوع وطننا الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تعيد الأمن والاستقرار إلى يمننا الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تعيد الأمن والاستقرار إلى ليبيا الحبيبة، اللهم إنا نسألك أن تعيد الأمن والاستقرار إلى عراقنا الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تنصرهم في السهول والجبال والوديان، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم إنا نسألك أن تُثبت الأرض تَحت أقدامهم، وأن تُسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق